الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف–المسيلة

مخبر الشعرية الجزائرية

شهادة مشاركة

يشهد السيد مدير مخبر الشعرية الجزائرية بجامعة المسيلة.والسيد عميد كلية الآداب واللغات بجامعة المسيلة أن **الدكتورة:مليكة صياد**–جامعة الجلفة،قد شاركت في أشغال الملتقى الوطني السادس:**جهود المستشرقين في الدراسات الأدبية واللغوية بين الموضوعية والذاتية**.والمنعقد بتقنية التحاضر عن بعد،من تنظيم مخبر الشعرية الجزائرية بالتعاون مع كلية الآداب واللغات،وذلك يوم:02/مارس/2021م،بمداخلة موسومة بـ:**صورة النبي في الصحافة الغربية..والمرجعية الاستشراقية امتداد التأثير وصعوبة التغيير.**

المسيلة في:2021/03/02م

عميد الكلية

عميد كلية الآداب واللغات
عمار بن لقريشي

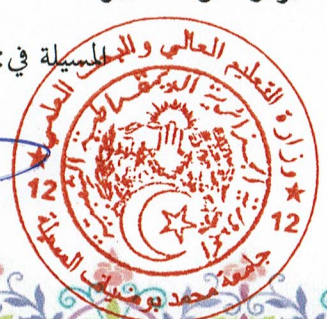

مدير مخبر الشعرية الجزائرية

مدير مخبر الشعرية الجزائرية
أ.د.فتحي بوخالفة

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف–المسيلة

مخبر الشعرية الجزائرية

جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

دعوة للمشاركة

الدكتورة الفاضلة:مليكة صياد–جامعة الجلفة

تحية طيبة وبعد:

تتشرف اللجنة العلمية للملتقى الوطني السادس:**جهود المستشرقين في الدراسات الأدبية واللغوية بين الموضوعية والذاتية**.والذي سينعقد،يوم الثلاثاء 02/مارس/2021م،بالتنسيق مع كلية الآداب واللغات بجامعة المسيلة،بدعوتكم للمشاركة في أشغاله،وتقديم مداخلتكم الموسومة بـ:**صورة النبي في الصحافة الغربية..والمرجعية الاستشراقية امتداد التأثير وصعوبة التغيير**.وذلك بتقنية التحاضر عن بعد،بداية من الساعة الثامنة والنصف صباحا.وسنوافيكم بالرابط الإليكتروني لاحقا.

مع خالص التحيات،والأمنيات بالتوفيق والسداد.

حرر بالمسيلة في:2021/01/20

مدير المخبر

مدير مخبر الشعرية الجزائرية

أ.د. فتحي بوخالفة

***هام جدا:**

-ترسل النصوص الكاملة للمداخلات قبل تاريخ:15/فيفري/2021،على البريد الإلكتروني لرئيس الملتقى بصيغة WORD.

-يمكنكم تسجيل مداخلتكم في شكل برنامج سمعي بصري(فيديو)،وإرسالها على البريد الإلكتروني لرئيس الملتقى،كي تعرض ضمن الأشغال،على ألا يتجاوز التدخل سبع دقائق.

-تنشر الأعمال التي تلتزم بقواعد البحث العلمي،وشروط النشر،في عدد خاص لمجلة دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية.لذا يعاد إرسال العمل كاملا إلى حساب المجلة عبر البوابة الوطنية للمجلات العلمية ASJP،بعد نهاية فعاليات أشغال الملتقى مباشرة.

-تمنح شهادة المشاركة للذين شاركوا فعليا فقط.

-برنامج الملتقى مرفق.

***نسخة للأرشيف.**

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف –المسيلة

مخبر الشعرية الجزائرية

تحت الرعاية السامية للسيد مدير جامعة محمد بوضياف المسيلة

مخبر الشعرية الجزائرية وبالتعاون مع كلية الآداب واللغات

ينظم، بتقنية التحاضر عن بعد، الملتقى الوطني السادس حول :

جهود المستشرقين في الدراسات الأدبية واللغوية بين الموضوعية والذاتية

The efforts of the orientalists in literary and linguistic studies between objectivity and subjectivity

يوم الثلاثاء، 02 مارس 2021 بمخبر الشعرية الجزائرية

▪ الديباجة

تعد ظاهرة الاستشراق من الحركات الفكرية التي اهتمت بدراسة حضارة الأمم الشرقية بصفة عامة، فشملت أديانها وعاداتها وأفكارها، وأولت اهتماماً أكثر بحضارة الأمة الإسلامية بصفة خاصة، وقد كان دورها في نشأتها مقتصراً على دراسة الإسلام واللغة العربية، ثم توسعت دائرة اهتمامها إلى دراسة كل صغيرة وكبيرة في العالم الإسلامي. فبدأ المستشرقون في خطوة أولى بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة اللاتينية، ونقل أعمال المسلمين وخاصة ما يتعلق بالفكر اليوناني من أجل إحيائه، ثم انصبت جهودهم على جمع التراث العلمي والأدبي وترجمته خاصة إبان فترة صراع القوى الاستعمارية على العالم الإسلامي. وقد عكف المستشرقون على دراسة التراث الإسلامي فصنفوا وحققوا وفهرسوا وترجموا وشرحوا وطبعوا، ونشروا الكثير من الدراسات والأبحاث حول حضارة المسلمين وآدابهم، فاتسم بعض هذه الدراسات بالطابع الإيجابي والبعض الآخر بالطابع السلبي. وعليه يمكن طرح الإشكالية التالية:

▪ الإشكالية

- ما المقصود بحركة الاستشراق؟ متى وأين ولماذا نشأت؟
- ما هي أهدافها ودوافعها من دراساتها للتراث العربي العلمي والأدبي؟
- ما موقف المثقفين العرب من ظاهرة الاستشراق؟

▪ الأهداف

يطمح الملتقى إلى تحقيق عدة أهداف من بينها:

- تحسيس الباحثين بأهمية هذا الحقل من الدراسات.
- إثراء هذا الموضوع والالمام بمعظم جوانبه.
- إشراك طلبة ليسانس والماستر من خلال فسح المجال أمامهم للحضور والمشاركة في مناقشة مداخلات المشاركين.

▪ المحاور

- **المحور الأول**: حركة الاستشراق (النشأة، الأهداف، الدوافع).

- مفهوم الاستشراق: النشأة والتطور.
- أهداف ودوافع ووسائل حركة الاستشراق.
- مدارس الاستشراق.
- إشكالية مصطلح الاستشراق في العصر الحديث.
- موقف المفكرين العرب من حركة الاستشراق.

- **المحور الثاني**: جهود المستشرقين في الدراسات الأدبية من خلال الجمع والفهرسة والتصنيف، والشرح والترجمة، والطباعة والتأليف، والنشر.

- جهود المستشرقين في دراسة الأدب العربي.
- تلقي المستشرقين للأدب العربي الحديث والمعاصر.
- نقد الخطاب الاستشراقي حول الأدب العربي.
- مناهج المستشرقين في قراءة الأدب العربي القديم والحديث والمعاصر.

- **المحور الثالث**: جهود المستشرقين في الدراسات اللغوية من خلال الجمع والفهرسة والتصنيف، والشرح والترجمة، والطباعة والتأليف، والنشر.

- دور المستشرقين في جمع وتحقيق التراث اللغوي.
- مناهج المستشرقين في نشأة الدراسات اللغوية وتطورها.
- المستشرقون وقضية أصالة النحو العربي.
- الإسهام المعجمي والموسوعي للمستشرقين في اللغة العربية.

- موقف المستشرقين من اللغة العربية.

- **المحور الرابع:** الدراسات الاستشراقية للعلوم الإسلامية من خلال الجمع والفهرسة والتصنيف، والشرح والترجمة، والطباعة والتأليف، والنشر.

- الدراسات الاستشراقية للقرآن الكريم.
- الدراسات الاستشراقية للسنة النبوية.
- الدراسات الاستشراقية للتشريع الإسلامي.
- مناهج المستشرقين في دراسة التراث التاريخي الإسلامي.

- **المحور الخامس:** المستشرقين واسهامات العرب في المجال العلمي التطبيقي.

- المستشرقون واسهامات العرب في علوم الطب والصيدلة.
- المستشرقون واسهامات العرب في علوم الفلك.
- المستشرقون واسهامات العرب في علوم الرياضيات.

الافتتاحية **الساعة التاسعة** : 08:30 **سا**

- افتتاح الملتقى بآيات بينات من القرآن الكريم.
- النشيد الوطني.
- كلمة رئيس الملتقى الدكتور إبراهيم زلافي.
- كلمة مدير المخبر الأستاذ الدكتور فتحي بوخالفة.
- كلمة عميد الكلية الأستاذ الدكتور عمار بن لقريشي.
- كلمة رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور كمال بداري والإعلان عن الافتتاح الرسمي لأشغال الملتقى.

برنامج الملتقى

الجلسة الأولى (مخبر الشعرية الجزائرية) من 09:00 سا إلى 11:00 سا.

رئيس الجلسة: د. واسيني بن عبد الله (جامعة المسيلة)			
التوقيت		إسم ولقب المتدخل (ة)	عنوان المداخلة	الجامعة
01	09:00 - 09:07	أ.د. بلخير ارفيس	المداخل الفكرية لتأويل القرآن الكريم عند المستشرقين	المسيلة
02	09:07 - 09:14	أ. عبد الحكيم غضبان	الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم لمصطفى السباعي – قراءة في المرجعيات والأبعاد –	ج. أ.ع/القادر ع.إقسنطينة
03	09:14 - 09:21	أ.د. لخضر روبحي	المستشرقون ولغة القرآن الكريم – دراسة تقويمية لاتجاهات جولد زيهر وبلاشير –	المسيلة
04	09:21 - 09:28	Dr Salah FAID	Combinatroire de traductologie de la trilogie de Mohammed Dib	م.ع.أ. بوسعادة
05	09:28 - 09:35	د. عبد القادر العربي	طبيعة الاستشراق الإنجليزي والأمريكي والمنابع الفكرية لأعلامهما	المسيلة
06	09:35 - 09:42	د. إبراهيم زلافي	حركة الاستشراق في ميزان الفكر العربي الحديث والمعاصر	المسيلة
07	09:42 - 09:49	د. عبد الوهاب بن دحان	قيمة الشعر الجاهلي عند المستشرقين وأثر ذلك في النقد العربي الحديث	مستغانم
08	09:49 - 09:56	د. غنية دومان	الاستشراق الفرنسي والأدب العربي لافونتين وابن المقفع – دراسة مقارنة –	باتنة 1
09	09:56 - 10:03	Dr Amar GHERBAOUI	La lecture grammaticale du Saint Coran: les preuves des orientalistes et refus du musulmans	م.ع.أ. بوسعادة
10	10:03 - 10:10	Dr Houria MIHOUBI	Orientalism in the Eyses of Edward Said	المسيلة
11	10:10 - 10:17	د. مراد قفي	خصائص الفصائل النحوية في اللغة العربية لدى المستشرق الألماني برجشتر اسر	المسيلة
10:17 - 11:00		مناقشـــــــة		

الجلسة الثانية (مخبر الشعرية الجزائرية) من 10:00 سا إلى 12:00 سا.

رئيس الجلسة: د. عمر غرباوي (المدرسة العليا للأساتذة بوسعادة)			
	التوقيت	إسم ولقب المتدخل (ة)	عنوان المداخلة	الجامعة
01	10:00 - 10:07	د. عز الدين عماري	نظرة المستشرقين إلى التراث اللغوي العربي وموقفهم منه	المسيلة
02	10:07 - 10:14	د. حمزة حماده	لويس ماسينيون والتصوف الإسلامي	الوادي
03	10:14 - 10:21	د. صلاح الدين حملاوي	أدبنا العربي في الدراسات الاستشراقية – الاستشراق الألماني أنموذجا –	بسكرة
04	10:21 - 10:28	أ. علي بن تيشة	الاستشراق ماهيته وموقف المفكرين العرب منه	قسنطينة1
05	10:28 - 10:35	د. حسين تروش	جهود المستشرقيْن الروسي إغناطيوس كراتشوفسكي والفرنسي أندريه ميكيل في التعريف بالأدب الجغرافي العربي	سطيف 2
06	10:35 - 10:42	د. كريمة بوكرش	مناهج المستشرقين في دراسة اللغة العربية الفصحى	الجلفة
07	10:42 - 10:49	أ. دليلة قتال	جهود المستشرق الألماني كارل بروكلمان في دراسة الأدب العربي	م.ج. بريكة
08	10:49 - 10:56	د. فتوح محمود	جهود المستشرق الأمريكي ديفين ستيوارت في دراسة السجع القرآني	تيسمسيلت
09	10:56 - 11:03	د. حملاوي مهتور	موقف مالك بن نبي من الاستشراق	سكيكدة
10	11:03 - 11:10	د. هبة خياري	أصالة النحو العربي بين مقولتي الشك والتأثر – رؤية في القراءة الاستشراقية وامتداداتها العربية –	عنابة
11	11:10 - 11:17	د. نصيرة غقاقلية	الجهود المعجمية للمستشرق الفرنسي رينهارت دوزي – تكملة المعاجم العربية أنموذجا –	م.ج. بريكة
12	11:17 - 11:24	د. زكري بحوص	المدرسة الاستشراقية الفرنسية – الخصائص والأعلام –	المسيلة
13	11:24 - 11:31	د. خليفة عوشاش	منهج المستشرق الألماني كارل بروكلمان في التأريخ للأدب العربي	المسيلة
	11:31 - 12:00	مناقشـــــــة		

الجلسة الثالثة (مخبر الشعرية الجزائرية) من 12:00 سا إلى 13:46 سا.

رئيس الجلسة: د. إبراهيم زلافي (جامعة المسيلة)			
التوقيت		إسم ولقب المتدخل (ة)	عنوان المداخلة	الجامعة
01	12:00 - 12:07	أ.د. عبد الكريم حمو	الدرس الاستشراقي في الكتابات الأدبية واللغوية الجزائرية – دراسة حالة مخطوط القول الأحوط فن بيان ما تداول من العلوم وكتبها بالمغربين الأقصى والأوسط للمستشرق الفرنسي جورج دالفان	CRASC - Oran
02	12:07 - 12:14	د. باية بن مساهل	دوافع الاستشراق وأهدافه	المسيلة
03	12:14 - 12:21	د. مليكة صياد	صورة النبي في الصحافة الغربية، والمرجعية الاستشراقية – امتداد التأثير وصعوبة التغيير –	الجلفة
04	12:21 - 12:28	أ.د. عبد الرحمان بن يطو	صورة المرأة في رسومات المدرسة الاستشراقية الفرنسية	المسيلة
05	12:28 - 12:35	د. واسيني بن عبد الله	الموضوعات الكبرى للقرآن الكريم عند المستشرقين	المسيلة
06	12:35 - 12:42	أ.د. حبيب بوسغادي	المعجمية العربية في كتابات المستشرقين – قراءة في المنهج –	عين تموشنت
07	12:42 - 12:49	د. عباس كحول	كتابات الضباط الفرنسيين حول الطرق الصوفية والزوايا والربط والأشراف في الجزائر خلال القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين	بسكرة
08	12:49 - 12:56	د. مداني زيقم	المرتكزات المنهجية في التعاطي مع السيرة النبوية من منظور المستشرق إيتيان دينيه – دراسة في فكره وأدبه –	سوق أهراس
09	12:56 - 13:03	د. عبد القادر أمزيان	رد افتراءات المستشرقين حول عدم أصالة النحو العربي	الشلف
10	13:03 - 13:10	د. جمال الدين بابا	من الجهود اللغوية الاستشراقية / أعمال المستشرق فيليب مارسي أنموذجا	تلمسان
11	13:10 - 13:17	د. الويزة جبابلية	الاستعلاء والمركزية الأوربية – قراءة في الاستشراق –	تبسة
12	13:17 - 13:24	د. السعيد ضيف الله	المستشرقون والقراءة الإبداعية للنص الشعري القديم – قراءة ريجيس بلاشير للمتنبي أنموذجا –	م.ج. بريكة
13	13:24 - 13:31	د. رابح بوصبع	المستشرقون والقرآن الكريم – قصة الغرانيق أنموذجا –	م.ج. آفلو
13:31 - 13:46		مناقشـــــــة		

إختتام أشغال الملتقى **الساعة الواحدة زوالا و 50 دقيقة** : 13:50 **سا**

– كلمة الاختتام: مدير المخبر، الأستاذ الدكتور فتحي بوخالفة.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

مخبر الشعرية الجزائرية

استمارة المشاركة

–اسم الباحث(ة): مليكة **–لقبه: صياد**

–المؤهل العلمي: دكتوراه ل–م–د **–الرتبة:**

–القسم: اللغة العربية وآدابها **–التخصص:نقد جزائري معاصر**

–الكلية(المعهد): الآداب واللغات والفنون **–الجامعة: زيان عاشور(الجلفة)**

–المدينة : مسيلة **–البلد: الجزائر**

–الهاتف: 0665144682 –البريد الإلكتروني: : **malikasiad2015@gmail.com**

–محور المشاركة: الدراسات الاستشراقية للعلوم الإسلامية من خلال الجمع والفهرسة والتصنيف، والشرح والترجمة، والطباعة والتأليف، والنشر .

–عنوان المشاركة: صورة النبي في الصحافة الغربية..والمرجعية الاستشراقية امتداد التأثير وصعوبة التغيير .

–الكلمات المفتاحية : صورة النبي–الصحافة الغربية– المرجعية الاستشراقية–التأثير–التغيير .

–الملخص:

علاقة الغرب بالشرق، علاقة موغلة في القدم، لكن تصادم الحضارات(القوية /الضعيفة) في محطات زمنية محددة؛ إبان الحروب الصليبية القرن الحادي عشر (1100م)، أو أثناء حملة نابليون بونابرت القرن الثامن عشر (1798م) أفرز ظاهرة الاستشراق، هاته الأخيرة رغم قدمها إلا أن امتداداتها مازالت تلوح في الأفق، وتأثيراتها مازالت فاعلة، وآثارها مازالت موجودة إلى غاية اليوم، بل إن هذه الآثار أصبحت تتجدد مع تجدد الأيام، ولا شك أن صورة النبي صلى الله عليه وسلم اليوم في الصحافة الغربية، قد شكلت واحدة من هذه الامتدادات؛ حيث المتكأ الأول دراسات المستشرقين السابقة عن النبي وسنته، ورغم أن هناك من المستشرقين من نقلوا الصورة بموضوعية دون تزوير ولا تكذيب ولا افتراءات ولا تشويه، إلا أن الصورة السلبية عن نبي المسلمين في تلك الدراسات هي من لقي الرواج الأكبر، والتأثير الأعمق، من هنا جاءت هذه المداخلة لتبحث في علاقة صورة النبي اليوم في الصحافة الغربية ودراسات المستشرقين، ولماذا هذه الصورة بالذات في هذا العصر بالذات؟ ولماذا لم يستطع العرب تغييرها؟ أسئلة ستحاول هذه المداخلة إضاءتها في حدود الإمكان.

The Summary

The relationship of the West with the East is deep and ancient .But clash of the civilizations , (the weak and the strong ones) at specific times during the Crusades in the 11th century or during the Napoleon's campaign in the 18th century (1798) , has created the Orientalism phenomenon that is still going on despite its ancient times. This phenomenon has effects which renew with time ,there is no doubt, this is the case of Western view on Prophet Mohamed (Peace Be Up On Him) because the Orientists' studies represent the most important source about the Prophet and his Sunnah.

Although some Orientists reported the view with objectivity, the negative view is the most wide-spread ,the most influential and the deepest .From here comes this intervention to look for the relation between the Western view on the Prophet Mohamed (Peace Be Up On Him) in the Western press and the studies of the Orientists .And why particularly this opinion and particularly at this time? And why the Arabs cannot change it?

مقدمة:

رغم أن بداية الاستشراق موغلة في القدم، تعود أدراجها إلى القرن السابع ميلادي تاريخ ظهور الاسلام، الذي أخذ في الانتشار الواسع مرفوقا بفتوحات إسلامية عظيمة وصل على إثرها مشارف أوروبا، وهدد بالتالي الديانة المسيحية ومعتنقيها، إلا أن الاستشراق لم يتوقف يوما بل اختلفت طريقته وأسلوبه مع ما عرفه العالم من تقدم علمي وتكنولوجي، وأصبحت هناك دراسات استشراقية حديثة تبحث في الدراسات الاستشراقية القديمة، ودراسات استشراقية حديثة تكمل سلسلة الحلقات التي بدأها الاستشراق منذ القديم، وأخرى حديثة تسير على نفس منوال الأولى وهكذا.. ولذلك ظل حقل الاستشراق يحظى باهتمام واسع من لدن الباحثين والدارسين ولم

يخفت بريقه إلى غاية اليوم، خاصة وأن هذه الدراسات قد استقطبت أبناء الشرق، أولئك الذين تحولوا من موضوع مدروس إلى ذات دارسة .

ولأن الاستشراق يشكل رافدا معرفيا للغرب عن الشرق، ورافدا معرفيا لأبناء الشرق عن شرقهم (أولئك الذين اختاروا الغرب سكنا وموطنا فابتعدوا عن لغتهم وبيئتهم ووجدوا أنفسهم عند رغبتهم في الاطلاع على تراثهم يلجؤون إلى دراسات المستشرقين)، هذا بالإضافة إلى اهتمام علماء الإسلام بالرد على شبهات المستشرقين، فقد عني بالاهتمام المتزايد، وما هذا الملتقى إلا دليل على ذلك.

من هذا المنطلق، ونظرا لأهمية الدراسات الاستشراقية القديمة والحديثة، وما أثارته وما زالت تثيره صورة النبي في الصحافة الغربية التي تطالعنا من حين إلى آخر بهجمة شرسة على نبي الإسلام، ستحاول هذه الورقة البحث عن سر استمرارية نظرة مستشرقي القرون الوسطى إلى النبي، وكيف ظل تأثير الدراسات الاستشراقية القديمة ملقيا بظلاله على رؤية الغرب للنبي في القرن الواحد والعشرين؟ ولماذا لم يستطع علماء العرب المسلمون تغيير هذه النظرة؟ أو حجبها؟

1–صورة النبي في الدراسات الاستشراقية القديمة (المرجعية الاستشراقية):

لا يمكن الوقوف على التاريخ الدقيق والمضبوط لبداية الاستشراق، ذلك أن آراء الباحثين والدارسين قد اختلفت، حتى وصلت إحدى عشر رأيا :« تختلف الآراء وتتقاطع حول بدايات الاستشراق، فليس هناك تحديد واضح ودقيق لنشأته، بحيث يستطيع الباحث في هذا المجال أن يحدد تاريخا بعينه، وقد تعددت الآراء حول البدايات الأولى للاستشراق إلى أحد عشر رأيا، بعضها يعطي تاريخا بعينه، وبعضها الآخر يقدم حقبة أو عصرا من العصور التي مر بها الشرق أو العالم، والبعض الثالث لا يعطي زمنا، وإنما يعتمد على أحداث أو غايات أراد الاستشراق الوصول إليها، فجعلت هي البدايات .»[1] ولكن الرأي الأرجح أنه يعود إلى بداية ظهور الإسلام:« أغلب الذين أرخوا لحركة الاستشراق وهم غربيون–والعرب في هذا الميدان والمسلمون عامة ناقلون ومرددون–اعتمدوا عام 1143م منطلقا وبداية لتاريخ الاستشراق، لكن الواقع التاريخي يحدثنا بأن أول تماس فكري بين الإسلام وخصومه إنما وقع في اللحظة التي تنزل بها الوحي الأمين على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم.»[2] ولربما أكبر دليل على أن بداية الاستشراق كانت مع البداية الأولى للإسلام هي أنه ومع مجيء القرن الحادي عشر الذي أرخ به البعض للاستشراق كانت الدراسات الاستشراقية قد عرفت باعا طويلا:« وقد أخذت الدعاية الكبرى في العصور الوسطى تعمل على إقرار فكرة العدو الأكبر"The great enemy" في الأذهان. ولقد كانت تلك الدعاية خالية من كل موضوعية، وأصبح محمد ماهوند أمير الظلمات"

Mahound the prince of dakness" حتى إذا ما حل القرن الحادي عشر كان للأفكار الخرافية المتعلقة بالإسلام والمسلمين تأثير يؤسف له .»[3] ولكن وتيرة العداوة والإقبال المدروس، والممنهج على دراسة الإسلام قد عرفا تزايدا ملحوظا، عندما أخذ هذا الدين الجديد في الانتشار، والفتوحات الإسلامية في التوسع، فقد استفزا الدول الأوروبية، وهددا وجودها ودينها، فراحت تعمل جهدها في محاولة اكتشاف سر هذا النجاح، لدرء هذا الخطر، ولأن الانطلاقة الأولى للمستشرقين كانت مبنية على الخوف من هذا الدين الجديد الذي أخذ في الاكتساح في وقت قصير، والرفض المطلق له، فقد كانت الخلفية الفكرية لدراسات المستشرقين هي عدم قبول هذا الدين، وكنّ العدائية له، ولذلك كانت أولى أعمال المستشرقين مرآة عمياء لا ترى إلا ما يريده المستشرق وما يوافق ميوله ورغبته، ولذلك جاءت أغلب دراسات المستشرقين بعيدة عن الموضوعية العلمية:« أقبلت البعوث من كل مكان..رحالة وعلماء وعساكر ورهبانا ومؤرخين وباحثين يدرسون ويتحسسون ويترجمون وينقبون في محاولة دائبة لمعرفة السر في هذه القوة الخارقة للإسلام، وكثرة كثيرة من هؤلاء كانت نواياهم عدوانية وكانوا طلائع المبشرين والمستعمرين والصهاينة الذين جاءوا بعدهم..وقلة قليلة كانت علمية وموضوعية ومحايدة..وكانت تحاول أن تقدم الحقيقة في إنصاف.»[4] ولأن الدين الإسلامي قد قام على ركيزتين أساسيتين هما : القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد حملهما خير البرية محمد صلى الله عليه وسلم، فقد أخذ هذين الأخيرين حصة الأسد من عدائية المستشرقين:« لعل من أكثر الشخصيات البارزة في التاريخ الإنساني تعرضا للتشويه لدى الغرب هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فقد تهجموا على شخصه الكريم وأنكروا نبوته، وشوهوا الشريعة التي جاء بها.»[5] وهذا بالتأكيد لم يكن من فراغ، فقد كان هؤلاء المستشرقون عملاء لأوطانهم، وساسة بلدهم، مدفوعون لإنجاز مهمة لقنوا مبادئها قبل الانطلاق فيها، إذ لا يخفى على الباحث في مجال الاستشراق الأهداف التي رسمت للمستشرقين منذ قرون، ولا النوايا الخبيثة لمعظم هؤلاء .

فمنذ الانطلاقة الأولى للدراسات الاستشراقية والنبي صلى الله عليه وسلم محط الاهتمام ومبلغ العناية:« بسبب مركزية شخصية النبي صلى الله عليه وسلم في الدين الإسلامي والمجتمعات الإسلامية، وكون سنته المصدر الثاني للتشريع في معظم الممالك والدول الإسلامية عبر العصور، ونتيجة النجاح الصاعق للفتوحات العربية الإسلامية في شرقي العالم القديم وغربيه، فقد كان من الطبيعي أن تنال صورته في الغرب مختلف مظاهر التشويه والطعن وسوء التمثيل.»[6] وكانت الغاية كل الغاية هي كيفية النيل منه والحطّ من قدره، وتقليل شأنه لعل وعسى يزول هذا الدين ويقل شأنه في نظر أنصاره فيرتدون عليه وكذا في نظر الآخرين فلا يقبلون عليه .

فالمتتبع للدراسات الاستشراقية القديمة يجد معظمها إما قد خصص في كتابه فصلا عن النبي، أو جعل الكتاب كله عن النبي، وأخذ في نفث سمه في هذا الكتاب؛ فالنبي سفاح يسفك الدماء، ويسلّ سيفه في وجوه الأبرياء:« وراحوا ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، وزعموا أن الإسلام قوة خبيثة شريرة وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس إلا صنما أو إله قبيلة أو شيطانا.»[7] فالرسول إذن ليس إلا صنما أو إله قبيلة، بل إنه شيطان، يستعمل الخدع، ويستعين بالحيل، إذ لولا هذه الطريقة لما استطاع أن يؤثر في الناس ويكسب كما هائلا من الأنصار في وقت قصير.

والنبي هو زير نساء، يدعو للاستمتاع بهن في الدنيا، ويشجع على ذلك، ويعد أنصاره بتلبية كل رغباتهم الجسدية في الآخرة التي يدعو لها، حيث حور العين يتوفرن كما يتمناه الرجل أو أكثر:« يؤكد (توما الأكويني) المزاعم القائلة إن محمدا أغوى كثيرا من الشعوب للدخول في عقيدته، من خلال تشجيعه إياهم على الحصول على الملذات والشهوات الحسية، وعن طريق الوعود التي قطعها لهم ضمن هذا التوجه الغرائزي .»[8] فهو إذن العاشق للنساء، الغارق في الملذات المتمسك بالدنيا إلى أبعد حد؛ آخذين عليه تزوجه تسع نساء، وإباحته للآخرين الجمع بين أربع نساء:« ولقد اتهم محمد في العصور الوسطى بالخداع والشهوانية وعدم الوفاء " Muhammad has been alleged to be insincere to be Sensual and to be treacherous.»[9] فلو لم تكن النوايا قد سبقت العمل، ولو كانت الموضوعية العلمية قد صبغت ولو جانبا من هذه الدراسة لتم التوصل إلى الخلفيات الحقيقية وراء كل زيجة من زيجات النبي، ولتم معرفة الغايات الدينية وراءها، بل إنهم عندما بحثوا قد عرفوا الحقائق كما هي ثم أخذوا في التزوير والتلفيق والتشويه عمدا لخدمة أهدافهم التي جاؤوا من أجلها .

والنبي هو الساحر والمشعوذ الذي سيطر على عقول الناس، وأسر قلوبهم بسحره وشعوذته، وهو الإرهابي المجرم الذي يرتدي جبة بيضاء ويسدل لحيته ويشجع أتباعه على القتال وخوض الحروب، آخذين عليه شرعية الجهاد، فها هو الكاتب اليهودي الفرنسي "مكسيم رودينسون" يقول فيه:« كان محمد ميالا إلى العدوان وإلى الانتقام من أعدائه، كما كان في نفس الوقت ميالا إلى إشباع رغباته الجنسية، ساعيا بشتى الوسائل إلى تحقيق أبعد طموحاته عن طريق الدين من جانب، والقوة من جانب آخر.»[10]وراحت الدراسات الاستشراقية تكيل كل أنواع السب والشتم لهذا النبي الذي حمل دينا جديدا رفضه أنصار المسيحية .

والنبي ليس إلا لصا، وقاطع طريق، خادع وماكر، وغير ذلك من الصفات المشينة :« إن نبي الإسلام العربي الماكر الوسخ أفّاق وخادع ولص نياق خليع وساحر، كان رئيس عصابة من قطاع الطرق، وكان مصابا

بالهستيريا والجنون، مات في نوبة سكر وأكلت جثته الخنازير.»[11] وهذا الرأي بالذات انتشر كثيرا بين ثنايا كتب المستشرقين، وعملوا جهدهم لتكريسه وترسيخه، وما تكرار نفس الصورة بين المستشرقين القدماء إلا دليل على ذلك:« أما سيمون أوكلي (1124-1167هـ/1678-1720م) ففي كتابه"تاريخ السراسنة" ويقصد بهم العرب المسلمين...وصف النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه:"رجل خبيث جدا وماكر، وأن ما كان بيديه من شمائل طيبة كانت مجرد أمر ظاهري يخفي وراءه حقيقة نفسه التي كان يحكمها الطموح والطمع.»[12] وظلت هذه الصورة متداولة بين المستشرقين وقرائهم، طيلة القرون الوسطى، وامتد تأثيرها لما بعد ذلك، وعمّرت قرونا عديدة، فكانت أغلب الدراسات التي أتت بعد ذلك تحمل الصورة ذاتها عن النبي صلى الله عليه وسلم .

2-صورة النبي في الصحافة الغربية (العصر الراهن):

في مشارف القرن الواحد والعشرين، وإثر هجمات أيلول على الولايات المتحدة الأمريكية، استعرت هجمات الغربيين على نبي الإسلام، ففاقت كل معقول .

وتمت الاستعانة بكل الوسائل التي أتاحها التقدم التكنولوجي من شبكة المعلومات إلى السينما إلى قنوات التلفزيون إلى الصحافة والمجلات ...إلى غير ذلك.

وتصدرت الصحافة الوسائل الحديثة التي أخذت على عاتقها مسؤولية تشويه صورة النبي، وإخراجها في كل شكل لا يقبله مسلم ولا مسيحي، وراحت تتفنن في رسم اللوحات ونشرها، وفي كل مرة تهين فيها شخص النبي وتحاول النيل منه، رغبة في استفزاز المسلمين، وكانت البداية مع صحيفة (يولاندس بوستن) حيث :« قامت صحيفة (يولاندس بوستن) الدنماركية في 30 سبتمبر 2005م، بنشر مقالة في الصفحة الثالثة لها، والتي حملت عنوان " وجه محمد" ، ملحقة بنشر اثني عشر من الرسومات الكاريكاتيرية حملت توقيع الصحفي الدنماركي "كورت فيسترجارد"، جاء في مجملها استهزاء وسخرية من النبي محمد صلى الله عليه وسلم.»[13] هاته الرسومات الاثني عشر راحت تتكرر في أكثر من صحيفة؛ بين من تعيد نشر رسم واحد، وبين من تعيد نشر رسمين فأكثر، وأخذت الصحف الغربية تتزاحم حول نشر هاته الرسوم، وهو ما أثبته تحقيق نشرته مجلة (أي يور) الدانماركية في عام 2006م والذي أكد أن هذه الرسوم :« قد نشرت في 143 صحيفة في 56 دولة حول العالم، حيث تم إعادة نشر الرسوم في صحف الدول الغربية في سبعين صحيفة أوروبية، وفي أربعة عشر صحيفة في الولايات المتحدة الأميركية وواحد وثلاثين صحيفة في كندا وصحيفتان في أستراليا وثلاثة صحف في نيوزيلندا وصحيفة في اليابان فيما نشرت ثمانية دول إسلامية منها مصر والسعودية والجزائر والأردن

والمغرب وماليزيا وأندونيسيا والبوسنة والهرسك تلك الرسوم.»[14] وهاته الرسوم (12) كانت كلها تهدف إلى تصوير النبي، وجاءت من مخيلة اثنا عشر رساما كاريكاتيريا، ورغم اختلاف هؤلاء الرسامين، واختلاف رسوماتهم إلا أن صورة النبي صلى الله عليه وسلم هي ذاتها بينهم، لم تختلف سوى التفاصيل، أما الخطوط العريضة فقد شكلت قاسما مشتركا بينهم، وهذه الرسوم جاءت كالتالي:

الرسم الكاريكاتوري الأول عبارة عن رجل ملتحي يضع عمامة على شكل هلال مع نجمة، أما الثاني فعبارة عن:« وجه رجل متجهم وملتحي وعلى رأسه عمامة في شكل قنبلة مشتعلة.»[15] في حين جاء الرسم الثالث عبارة عن :« رجل يقف أمام صف استعراضي من سبعة رجال، ويتضمن صور كاريكاتيرية لبيا جيرسغارد(Pia Kjaersgaard) ملاحظة المترجم: زعيمة حزب الشعب الدانماركي) وخمسة رجال يرتدون عمائم، ويقول الشخص الذي يقف أمامه:"لا أستطيع أن أتعرف عليه".»[16] ولم يختلف الرسم الرابع كثيرا، بينما حمل الرسم الخامس صورة :«خمس شخصيات نسائية يرتدين الحجاب، وملامح وجوههن رسمت في أشكال النجوم والأهلة، وهناك تعليق مع الصورة يقول:" أيها النبي أنت مجنون، تبقي النساء في نير العبودية"! .»[17] بينما كان الرسم السادس عبارة عن ذات الرجل الملتحي ذو العمامة مع إضافة بسيطة تمثلت في قيادة الرجل لحمار:« رجل ملتحي وعلى رأسه عمامة، ويقف ومعه رجاله وهو يمسك بمقود حمار.»[18] وجاء الرسم الكاريكاتيري السابع مكررا نفس الصورة، بينما اختلف الرسم الثامن نوعا ما :« رجلان ملتحيان ومعممان، وكل منهما مسلح بسيف وقنبلة وبندقية، ويجريان باتجاه رجل ثالث يرتدي عمامة، والرجل الثالث يقرأ ورقة، ويأمرهما بالتوقف بهذه الكلمات:"مهلا أيها الناس، إنه مجرد رسم هزلي قام به أحد المشككين من جنوب الدانمارك.»[19]. وجاءت بقية الرسوم كالتالي :« الرسم الكاريكاتيري 9: ولد مراهق ذو شعر أسود، ويرتدي بنطالا وقميصا عليه شريط مكتوب فيه كلمة "المستقبل" ، وهو يقف أمام سبورة، ويشير بمؤشر إلى نص عربي مكتوب على السبورة وهو :"محمد ، مدرسة فالبي" Valby,7A في سهم موجه إلى الولد، الرسم الكاريكاتيري 10: رجل ملتحي، ويرتدي عمامة ويحمل سيفا وهو يقف وعيناه معصوبتان بشريط أسود، وتقف بجانبه امرأتان ترتديان عباءتين سوداوين، ولا يرى منهما غير عينيهما، الرسم الكاريكاتيري 11: رجل ملتحي، ويرتدي عمامة، ويقف أمام حشد من الناس ويديه ممدودتان إلى الأمام ويقول:" توقفوا، توقفوا، لقد استنفدنا العذارى، وينتظر أمامه صف من الرجال، عليهم ملابس بالية وأعمدة الدخان تتصاعد من رؤوسهم، الرسم الكاريكاتيري 12:. رسم لرجل يرتدي نظارات، وعمامة عليها برتقالة، وقد كتب على العمامة عبارة:"إثارة الدعاية الإعلانية" ويبتسم الرجل وهو يعرض صورة "رجل عود الثقاب" وهو رجل ملتحي وعليه عمامة.»[20] فمنذ حادثة أيلول 2001م، والغرب

لا يتوانى عن الهجوم على الإسلام، وكانت الوجهة هي النبي لإيمانهم بمكانته عند أنصار الإسلام، فالهدف واضح إذن هو استفزاز المسلمين، وراحت الصحف مدعومة من دولها، وساستها، وحكوماتها تعمل جهدها على الترويج لهذه الصورة، وتشويه النبي، والمقصود دائما هم المسلمون :« فعندما ضربت أمريكا في في 11 أيلول 2001م قام الانجليز والعديد من دول العالم بالقبول السريع لإعلان الحرب ضد الإرهاب الكوني ودعم ذلك وضمن مخاوف 11 من أيلول تم تصدير فكرة ربط الإسلام بالإرهاب وأنهما كل متكامل لا يتجزأ أحدهما عن الآخر، كما لوحظ إقبال متزايد على تشويه صورة النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحقيقة كانت محاولات الرسومات الكاريكاتورية للنبي على أنه إرهابي انتحاري في صورة"أسامة بن لادن" من جهة، وتصويره بأنه يسعى لتلبية رغباته الجنسية من جهة أخرى تصب في مصلحة الإسلاموفوبيا، حيث تم استهدافه بحملة تشويه قوية وممنهجة تحمل أسوأ الافتراءات بحقه باعتباره عدوا للنساء وعبدا لشهواته في نفس الوقت.»[21] فقد تم استغلال حادثة أيلول للهجوم على النبي، وضرب المسلمين، مع أنه لا دليل مؤكد على هوية التفجيريين الذين قاموا بهذا الاعتداء، مما يعني أن الحقد على النبي والعدائية التي يكنها الغرب له ولدينه متجذرة منذ قرون، وما الحملة الإعلامية الشعواء التي تشنها الصحافة اليوم على نبي المسلمين إلا دليل قاطع على ذلك؛ هذا بالإضافة إلى التشجيع الذي تحظى به الصحف التي تتولى هذه المهمة من قبل حكوماتها، وهو دليل آخر على التخطيط لهاته الحملة التشويهية للنبي مع سبق الإصرار، ما يؤكد الخلفيات التي تنطلق منها هذه الحملة :« وأصبح النبي هدف الكثير من الحملات والهجمات التي شنت عليه من الغرب، كما أنهم ادعوا أنه صلى الله عليه وسلم كاذب يدعو للعنف وإتباع الشهوات وأن العنف والجنس في الدين هما من الأساسيات التي خلق من أجلها محمد، وأن المؤمنين بهذا الدين يفكرون بالضرورة بنفس الشكل أيضا، حيث تم تصوير الإسلام على أنه مبني على الحرب والاعتداء، وأنه يعطي الإذن بتعدد الزوجات، والمثلية الجنسية والتلذذ بشكل عام.»[22] وهاته الصورة بالطبع لم يستقها الصحفيون من فراغ، وإنما لها قصتها الغائرة في الزمن، والتي ينضح بها حقدهم الدائم والمستمر للإسلام، هذا الحقد الذي لم يتمكنوا من إخفائه، وظل يطفو على السطح، كلما وجدوا مشجبا يعلقون عليه هذه الكراهية، وكلما وجدوا قشة تعلقوا بها واتخذوها مطية، فها هي نفس الصور تتكرر مؤخرا وعلى يد صحيفة "شارلي إبدو" في القرن الواحد والعشرين، حيث نشرت هذه الصحيفة في عددها رقم 1163 الصادر في 01 أكتوبر 2014م صورة للنبي محمد على شكل رجل ذو لحية سوداء، ويرتدي جبة بيضاء وعلى رأسه عمامة، يجلس على ركبتيه مرددا العبارة التالية: "Je suis le prophéte,abruti!" أي "أنا النبي غبي"، وبجانبه رجل متطرف يضع قناعا على وجهه ويلبس زيا عسكريا ويحمل سكينا مصوبا نحو

عنق النبي، قائلا :"Ta gueule,infidéle" بمعنى "أغلق فمك، خائن"، وقد وعنونت الصورة ككل بعبارة: "Si MAHOMET REVENAIT"إذا محمد رجع"، وفي عددها الصادر في جانفي 2013م حمل غلاف الصحيفة صورة للنبي وهو يرتدي جبة بيضاء، ويقود جملا في الصحراء، وعنونت الصورة بـ:" LA VIE DE MAHOMET " وفي عنوان فرعي لها كتبت:"Les débuts d'un prophéte" الحياة الأولى للنبي، بمعنى أن النبي في بداية حياته لم يكن إلا راعي إبل في الصحراء لا علاقة له بالنبوة، وإنما ابتدعها واختلق أكاذيبها من أجل تحقيق طموحاته السياسية والمادية، وهاته الصور لم تبتعد إذن عن الخط الأول الذي جاءت بها الرسوم الكاريكاتيرية الاثنا عشر التي خرجت بها صحيفة يولاندس بوستن، بل إن الأمر بات يتكرر مع باقي الصحف الأوروبية مع إضافات بسيطة لا تخرج عن التوجه العام لصورة النبي في المخيلة الأوروبية، على غرار الصحيفة النرويجية (Magazinet) والصحيفة الألمانية(ديلي بيست) والصحيفة الفرنسية (France Soir)، وكل ما تم نشره في الصحف الغربية منذ 2005م يؤكد حقيقة واحدة هي :"هذه هي صورة النبي في الذهنية الأوروبية" .

3-التقاطع بين الماضي العتيد والراهن الجديد (امتداد التأثير) :

إن المدقق في صور النبي التي تطالعنا بها الصحف الغربية بين الفينة والأخرى يجدها لم تبتعد عما جاءت به الرسومات الكاريكاتيرية الأولى، وهاته الأخيرة جاءت من مخيلة اثنا عشر رجلا مختلفا، كل له مخيلته، ولكن كانت لهم وجهة واحدة هي "وجه محمد" فجاءت النتيجة صورة واحدة، وجوهر واحد، واختلافات بسيطة لم تؤثر في التوجه العام للصورة؛ فمحمد دائما هو الرجل الملتحي صاحب العمامة، شاهر السلاح(سيفا كان أو قنبلة)، المحاط بجمهرة من النساء المتجلببات اللواتي لا تظهر منهن إلا عيونهن، ثم تم تصدير هذه الصورة إلى كل بقاع العالم، وراحت الصحف تستغل هذه الصورة وأبعادها إلى أبعد حد ممكن فتم الربط بين النبي محمد وبين حوادث العنف، لذلك لا تخلو أي صورة له من رمزية السلاح، وكذا الربط بينه وبين الفسق والمجون ولذلك تكثر النساء بجانبه، وأحيانا يتعمد رقم الأربعة في إشارة واضحة لتشريع الإسلام الجمع بين أربع نساء، مما جعل الرأي العام الغربي يربط بين النبي محمد، وبين الإرهاب-الظاهرة الأكثر تأثيرا على العالم حديثا، وبينه وبين الدعوة إلى امتلاك النساء وجعلهن جواري وإماء، والاستمتاع بهن في إطار يكتسي طابع التشريع، فكيف إذن اتفق هؤلاء الرسامون رغم اختلافهم على هذه الصورة؟ وكيف لقيت هذه الصورة وهي بهذا الشكل الرواج والقبول لدى المجتمعات الغربية؟ سؤوال يدفعك إلى الرجوع إلى الوراء، لأكثر من أربعة عشر قرنا، وبالتحديد إلى القرون الأولى للاستشراق؛ ففي كتب المستشرقين الأوائل نجد الإجابة الشافية، لأن

صورة النبي محمد الموجودة اليوم في أذهان شباب أوروبا هي نفسها صورة النبي التي تواجدت في أذهان مستشرقي القرون الوسطى، فمحمد كما تجلى معنا سابقا في الدراسات الاستشراقية الأولى هو الكاذب، واللص، وراعي الإبل، المدّعي النبوة، والداعي للتمتع بالنساء، وهو الذي وعد أنصاره بجنة رضوان فيها ما يشتهون من حور عين كأنهن البيض المكنون، وهو الذي نشر دينه بحد السيف، فهو إذن القاتل الذي لا يهمه كم أراق من دماء الأبرياء بقدر ما تهمه مصالحه الشخصية، فما الذي تغير إذن بين الأمس البعيد، واليوم الجديد، لا شيء تغير، الصورة هي نفسها، لقد قال مونتغمري وات :«:"جد الباحثون منذ القرن الثاني عشر في تعديل الصورة المشوهة التي تولدت في أوروبا عن الإسلام، وعلى رغم الجهد العلمي الذي بذل في هذا السبيل، فإن آثار هذا الموقف المجافي للحقيقة التي أحدثتها كتابات القرون المتوسطة في أوروبا لا تزال قائمة.»[23] بل إن فكرة عدّ النبي العدو الأول والأكبر للمجتمع الغربي ما تزال قائمة في نفوس الغربيين بنفس القوة ونفس الحجم الذي قامت به في نفوس أبناء أوروبا في القرن السابع ميلادي، تغيرت القرون ولم تتغير النظرة ولا الفكرة ولا الموقف، ولا حتى الدعاية :« وما تزال آثار الوهم القديم قائمة إلى يومنا هذا؛ إذ لا يزال من الشائع عند أبناء الغرب أن يسلموا دون نقاش بأن محمدا ليس سوى رجل استغل الدين في تحقيق الفتوحات وسيادة العالم، وأن الإسلام دين عنف يعتمد على السيف.»[24] والسؤال المطروح هنا هو: ما سر استمرار هذه الرؤية؟

بالرجوع إلى الخلف وتحديدا إلى القرن السابع ميلادي نجد أن معظم المستشرقين الذين اختصوا بدراسة الإسلام كانت لهم غاية واضحة ومحددة هي تشويه هذا الدين لأن الأهداف التي جاؤوا من أجلها ليس فهم هذا الدين على حقيقته وإنما هي تزييفه وإخراجه في أسوء حلة حتى تنحسر دائرته التي أخذت في الاتساع، هؤلاء المستشرقين الذين جاؤوا من مختلف الدول الأوروبية كانت لهم دوافعهم الذاتية، وحوافز بلدانهم وحكوماتهم المادية والاجتماعية، ولذلك عندما قرروا تشويه هذا الدين لم يتوانوا لحظة واحدة في استغلال أي ثغرة تبدو لهم، فراحوا يؤولون حسب مزاجهم، ويفسرون حسب أهوائهم، وركزوا معاول هدمهم على شخص النبي صلى الله عليه وسلم لمكانته بالنسبة لهذا الدين، ولأنصار هذا الدين، فعادوا إلى حياته الأولى وكيف بدأ، ودرسوا كل أطوار حياته بعد النبوة، فعرفوه حق المعرفة، ولأن هذه الحقائق التي توصلوا إليها لا تخدمهم ولا تخدم أهدافهم وأهداف بلدانهم بدأت معامل الكذب والتلفيق والتزوير تدير عجلتها في كل اتجاه فكانت أغلب الدراسات الاستشراقية التي تناولت النبي وحياته عبارة عن نتاج غث وفاسد، ولكن لما كانت النية مبيتة، والغاية

واضحة، تم التمسك بهذا الإنتاج، وخصصت كل الإمكانيات المادية والبشرية للاحتفاظ به، ويمكن تلخيص أهم الأسباب التي أسهمت في دوام واستمرارية هذه الصورة فيما يلي:

- حظي هذا الإنتاج بعناية دور النشر، التي راحت تطبع هذه الدراسات وتسهر على نشرها وتوزيعها، وإيصالها للقارئ بأبخس الأثمان حتى تكون في متناول الجميع، وكل ذلك بدعم من الحكومات والجمعيات الناشطة في هذا المجال .
- تشجيع وتشريف كل من يتمكن من تشويه صورة النبي أكثر والاحتفاء به وبنتاجه، ولنا في صحيفة "شارلي ايبدوا" و رواية "آيات شيطانية" لسلمان رشدي على سبيل المثال لا الحصر أكبر دليل .
- تخصيص كراسي في الجامعات الأوروبية للدراسات الاستشراقية، أسهم في ازدهار هذه الدراسات، وجعلها قبلة للكثير من الباحثين والدارسين .
- الحرص على إيصال صورة الإسلام وصورة نبيه لكل العالم عن طريق قناة الاستشراق، لأنها القناة الوحيدة الكفيلة بحشد أكبر عدد ممكن من الكارهين والناقمين على هذا الدين .
- اعتماد هذه الدراسات الاستشراقية –رغم ما فيها من خطل– من قبل الهيئات الرسمية؛ الجامعات ودائرة المعارف وغيرها، جعل الإسلام ينتشر في الغرب حسب رؤية هذا الأخير وليس حسب الحقيقة.
- انتقال الكثير من أبناء الشرق للدراسة في الغرب وأحيانا للعيش الدائم هناك خصوصا بعد حملة نابليون بونابرت، وعدم اتقان الأجيال اللاحقة للغتهم الأصلية –العربية– جعلهم يأخذون كل ما يحتاجونه عن الدين من هذه الدراسات المشوهة، مما جعل صورة النبي تتشوه حتى في نفوس أولئك المسلمون بالفطرة .

فصورة النبي إذن في دراسات المستشرقين القديمة كانت هي الصورة التي يود هؤلاء المستشرقون أن يروها، وهي نفسها الصورة التي لاقت القبول لدى الشعوب الأوروبية، وهي نفسها الصورة التي أحيطت بكل ما يمكنها من البقاء في الذهنية الأوروبية، ولذلك ظلت هذه الصورة حية في ذاكرة هؤلاء إلى غاية يومنا هذا.

4–صورة النبي في العصر الراهن (صعوبة التغيير):

رغم قدم هذه الصورة للنبي والتي تعود للدراسات الاستشراقية الأولى، إلا أنها مازالت لم تتغير حتى ونحن نعيش العقد الثالث من القرن الواحد والعشرين، استمرارية تطرح ألف سؤال لا سيما وأن الدراسات الاستشراقية لم تتوقف:« ما من شك في أن هذا الركام المعرفي المزيف في الغرب عن حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته والشريعة التي جاء بها، قد ترك أثرا عميقا في نفوس الكثير من المستشرقين وطلابهم،

فجاءت دراساتهم وأبحاثهم عن الإسلام ونبي الإسلام مصطبغة بهذه الصبغة الباهتة والاجتهادات والتفسيرات المنحرفة التي لم تسهم- يا للأسف- في إظهار صورة النبي محمد صلى الله عليه وسلم أمام الغرب بشكلها الصحيح.»[25] فلماذا لم تتغير الصورة رغم وجود بعض الدراسات المحايدة والتي حاولت جاهدة الانتصار للنبي وللإسلام:« كيف يمكن أن يكون هناك حقل دراسات عريق ومتسع المجالات يدعى "دراسات الاستشراق أو الدراسات الشرقية" في الغرب ولا تزال هذه الحالة المزمنة من "النفور الحضاري" بين الشرق والغرب تسيطر على العالم المعاصر، وبكلمات أخرى لو كان هدف الدراسات الإسلامية على نحو خاص هو فهم واستيعاب الإسلام وعالمه فلم يثار موضوع العلاقة بين الإسلام والغرب دوما في إطار من السلبية والتضاد.»[26] ولعلنا هنا نضع الأصبع على الجرح حيث الصراع الدائم والأزلي بين العالم الغربي والعالم العربي (صراع الحضارات) في الوقت الذي كان من المفروض أن يحكمه حوار الحضارات، وسنحاول أن نذكر بعضا من الأسباب لها من الأهمية بمكان، على أننا نعلم مسبقا أن الإجابة على سؤال مثل هذا تحتاج إلى باحث متخصص في هذا المجال:

- العمل المتواصل والدؤوب للحكومات الغربية، والجماعات الدينية لإبقاء صورة النبي على حالها نظرا لما يمثله ولما يزل يمثله الإسلام من خطر على مصالحهم الدنيوية والدينية .
- اختلاف موازين القوى؛ فضعف الدول العربية الإسلامية مقابل قوة وازدهار الدول الغربية جعل هذه الأخيرة تفرض منطقها على العالم .
- تحكم الدول الغربية في تكنولوجيا المعلومات واحتلالها المركز الأول في تصدير المعلومة، وتمكنها الاقتصادي والعلمي، ووعيها بالدور المركزي الذي يقوم به الإعلام واستغلالها إياه لخدمة مصالحها، جعلها تخصص حيزا لا بأس به من وسائل التكنولوجيا الحديثة وعلى رأسها الصحافة لخدمة أغراضها التي كان من أهمها الترويج لصورة النبي وفق أهوائها بل وأطماعها:« فمنذ سنوات والميديا الغربية بثقلها وما تمتلكه من تأثير رهيب على النفوس والعقول، تمكنت من نحت صور سلبية إلى حد بعيد عن الإسلام الذي اعتبر كدين يمثل الرجعية والتطرف والإرهاب.»[27] .
- وجود قابلية للنظر إلى النبي صلى لله عليه وسلم وفق هذه الصورة من لدن المستشرقين القدماء، هو الذي رسخ صورة النبي تلك، ووجود قابلية مماثلة لدى مستشرقي العصر الراهن، وأخرى لدى جمهور القراء والمتلقين الغربيين ساهم بشكل منقطع النظير في رواج هذه الصورة وتكريسها، حيث:« التحامل على نبي الإسلام، و طعن رسالته في الصميم منها لا يزال نغمة مكرورة.»[28] نلمس هذا من خلال

الإصرار والإلحاح الدائمين على تداول هذه الصورة، وكذلك في التكرار النمطي لنفس الملامح(الجبة البيضاء، اللحية السوداء، العمامة، السلاح، الصحراء، تعدد النساء، ارتداء النساء للعباءات والنقاب، القرآن...إلخ) .

- عدم وجود أي نية من قبل الدارسين الغربيين والمتلقين على حد سواء لتغيير هذه الصورة، أو قبول صورة أخرى للنبي لا تتفق ورغبتهم الكامنة في صدورهم .
- ارتباط هذه الصورة بمصالحهم المختلفة جعلهم يتمسكون بها رغم تقادم الزمن والعمل على تحيينها متى سنحت الفرصة .
- عدم تكافؤ ميزان القوة على كل المستويات والضعف الذي تعاني منه الدول الإسبلامية، كرس هو الآخر هذه الصورة، فعدم قدرة المسلمين على الترويج بنفس القوة ونفس الحجم الإعلامي للصورة الحقيقية للنبي صلى الله عليه وسلم ساهم بنسبة في استمرار هذه الصورة ولم يضع لها حدا .
- الرد الأرعن وغير المدروس –أحيانا– (التفجيرات الإرهابية) لبعض المسلمين المتطرفين أدى دورا عكسيا؛ حيث لم يساعد الغرب على تغيير هذه الصورة في أذهانهم، وإنما ساهم في تكريسها أكثر .
- عدم اتحاد الدول الإسلامية وغياب الدراسات الممنهجة لبحث أفضل السبل والوسائل والآليات المناسبة للرد على الهجمات الغربية الشرسة على النبي، جعل الصورة تبقى متداولة بين القراء الغربيين والعرب .

خاتمة:

تثير صورة النبي في الصحافة الغربية أكثر من سؤال، وتطرح أكثر من إشكالية، وترسخ صراع الحضارات (الصراع الدائم بين الغرب والشرق) وتكرس ثقافة العداء بين العالمين المسيحي والإسلامي، ولذلك تحتاج إلى دراسة عميقة من قبل الباحثين المتخصصين في هذا المجال، سواء للرد على هذه الهجمات، أو محاولة تغيير هذه الصورة، أو العمل على نشر الصورة الحقيقية للنبي صلى الله عليه وسلم بالموازاة مع صورته المنشورة في الغرب، لأنه وبحكم وجودنا في هذا العالم، وكوننا طرف في هذا الصراع لا نستطيع أن ندفن رؤوسنا في الرمال، ونتجاهل ما يحدث، ولذلك حريّ بنا كأمة مسلمة موجودة فعلا، أن نمارس الحضور الفعلي ولا نكون ذلك الحاضر الغائب، ومن هنا سيبقى الاستشراق حقلا معرفيا يحتاج دائما إلى البحث المتجدد، وإلى دراسات معاصرة تبث فيما يطرحه من قضايا لاسيما تلك التي فرضت نفسها على غرار صورة النبي في الصحافة الغربية .

هوامش :

[1] فارح، مجدي، الثقافة الشعبية العربية في أعمال المستشرقين بين التزوير والتنوير، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، العدد 12، ، 2012م، ص 86 .

[2] العالم، عمر لطفي، المسنشرقون والقرآن دراسة نقدية لمناهج المستشرقين، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي، مالطا، ط 1، 1991م، ص17.

[3] النعيم، عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات–بروكلمان–قلهازون) مقارنة بالرؤية الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الرسائل الجامعية، العدد 21، ط1 ، 1997م ، ص 28.

[4] سمايلوفيتش، أحمد، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي ، القاهرة، مصر، د ط ، 1998م، ص 3.

[5] الجميل، محمد بن فارس، النبي ويهود المدينة، دراسة تحليلة لعلاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بيهود المدينة ومواقف المستشرقين منها، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، السعودية، ط 1، 2002م، ص15.

[6] اصطيف، عبد النبي، صورة النبي محمد صلى الله عيه وسلم في الكتابات الأنكلو– أمريكية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سورية، د ط ، 2008م، ص ص 23، 24 .

[7] حمدي زقزوق، محمود، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط ، دت، ص 22 .

[8] خفاجي، باسم، لماذا يكرهونه؟! الأصول الفكرية لعلاقة الغرب بنبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، المركز العربي للدراسات الإنسانية، الرياض، السعودية، ط 1، 2006م، ص 31 .

[9] النعيم، عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات–بروكلمان–قلهازون) مقارنة بالرؤية الإسلامية، ص 28.

[10] محمد أبو ليلة، محمد، محمد صلى الله عليه وسلم بين الحقيقة والافتراء في الرد على الكاتب اليهودي الفرنسي مكسيم رودينسون، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط 1، 1999م، ص 67 .

[11] النعيم، عبد الله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية لآراء (وات–بروكلمان–قلهازون) مقارنة بالرؤية الإسلامية، ص 29.

[12] نجا، فاطمة هدى، نور الإسلام وأباطيل الإستشراق، دار الإيمان ، طرابلس، لبنان، ط 1، 1993م، ص 142.

[13] عبد القادر محمد خليل، ياسمين، تأثير نشر الرسوم الكاريكاتيرية المسيئة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين في الدنمارك، مذكرة ماجستير، كلية الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، عمان، الأردن، 2017م، ص 2 .

[14] المرجع نفسه، ص 26 .

[15] مجموعة من المؤلفين، الأديان وحرية التعبير إشكالية الحرية في مجتمعات مختلفة، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان، القاهرة، مصر، سلسلة مناظرات حقوق الإنسان، العدد 10، د ط ، د ت ، ص 389 .

[16] المرجع نفسه، ص 389 .

[17] المرجع نفسه، ص 389 .

[18] المرجع نفسه، ص 389 .

[19] المرجع نفسه، ص 389 .

[20] المرجع نفسه، ص 389 .

[21] توزجو، رجب، فكرة الإسلاموفوبيا وعلاقة النبي صلى الله عليه وسلم بها، مجلة الإلهيات الأكاديمية، كلية الإلهيات، جامعة غازي عنتاب، تركيا، العدد 6، 2017م، ص 123.

[22] المرجع نفسه، ص 125.

[23] نجا، فاطمة هدى، نور الإسلام وأباطيل الإستشراق، ص 143.

[24] أرمسترونج، كارين، سيرة النبي محمد، تر: فاطمة نصر، و محمد عناني، شركة سطور، القاهرة ، مصر، ط 2، 1998م، ص 37 .

[25] الجميل، محمد بن فارس، النبي ويهود المدينة، دراسة تحليلة لعلاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بيهود المدينة ومواقف المستشرقين منها، ص ص 20، 21.

[26] الليثي، ياسر عبد الرحمان، اللغة العربية ودراسات الاستشراق الإسلامية، مجلة التسامح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، العدد 17، شتاء 2007م، ص 1.

[27] بوقنور، اسماعيل، قسوم، سليم، الإسلاموفوبيا : بين الصور النمطية والسياقات المنتجة، من كتاب الإسلاموفوبيا في أوروبا: الخطاب والممارسة، المركز الديمقراطيى العربي للدراسات الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية، برلين، ألمانيا، ط 1 ، 2019م، ص 33.

[28] شلبي، عبد الجليل عبده، صور استشراقية، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، مصر، سلسلة البحوث الإسلامية، السنة العاشرة، الكتاب الأول، جانفي 1978م، ص 31 .